

د. روبرت أ. بيطرسون، الإنسانية والخطيئة الجلسة الثانية، صور الإنسانية

روبرت بيطرسون وتيد هيلدبراندت © 2025

هذا هو الدكتور روبرت أ. بيطرسون في تعليمه عن عقائد الإنسانية والخطيئة. هذه هي الجلسة الثانية، صور الإنسانية.

أهلاً بكم من جديد في محاضراتنا عن الإنسانية والخطيئة. وعلى وجه التحديد، ما زلنا نواصل دراسة مقدمة لعقيدة الأنثروبولوجيا، ونفكر الآن في صور الإنسانية، التي لا تنتمي أغلبها إلى الكتاب المقدس، ولكن من المفيد لنا أن نفهم كيف ينظر العالم إلى البشر باعتبارهم آلة، أولاً وقبل كل شيء. ومن بين هذه المنظورات ما يستطيع البشر فعله.

على سبيل المثال، يهتم صاحب العمل بقوة وطاقة الإنسان، فضلاً عن المهارات أو القدرات التي يمتلكها. وعلى هذا الأساس، يستأجر صاحب العمل الموظف لعدد معين من الساعات في اليوم. ويُنظر إلى البشر في بعض الأحيان باعتبارهم آلات، وهو ما يتضح بشكل خاص عندما تؤدي الأتمتة إلى إزاحة العامل من وظيفته.

إن الروبوتات، لكونها أكثر دقة وثباتاً، تؤدي العمل بشكل أفضل في كثير من الأحيان. فضلاً عن ذلك، فإنها تتطلب قدراً أقل من الاهتمام، ولا تتطلب زيادات في الأجور، ولا تضيق الوقت بسبب المرض. وسوف يكون الاهتمام الرئيسي لأولئك الذين يتبنون هذا المفهوم عن البشر هو تلبية احتياجات الشخص أو الآلة التي ستبقيها تعمل بشكل فعال.

إن صحة العمال تشكل أهمية كبرى، ليس بسبب المعاناة الشخصية المحتملة، بل من حيث كفاءة العمل، وإذا كان من الممكن إنجاز العمل على نحو أفضل باستخدام الآلات أو من خلال إدخال تقنيات أكثر تقدماً، فلن يكون هناك أي تردد في تبني مثل هذه التدابير. ذلك أن العمل هو الهدف والاهتمام الأساسي.

بالإضافة إلى ذلك، يحصل العامل على الحد الأدنى من الأجر اللازم لإنجاز المهمة. بيزنس ويك. بدأ غزو الروبوتات يثير قلق العمال.

"بيزنس ويك، 29 مارس 1982 بالفعل. هذه النظرة تتسلل أيضًا إلى الكنيسة إلى حد ما"

قد يتم تقييم الأشخاص وفقاً لما يمكنهم القيام به. وقد تعكس الكنائس هذا غالباً في اختيارها للرعاة، حيث تريد شخصاً يمكنه أداء خدمة معينة أو مهمة وزارية أو خدمة رعوية بفعالية وكفاءة. قد يكون هناك اهتمام خاص بتجنيد الأعضاء الذين يمكنهم إنجاز عمل الكنيسة.

قد يُنظر إلى المتحولين المحتملين في المقام الأول باعتبارهم وحدات عطاء يمكنها المساعدة في تمويل برامج الكنيسة. وأشار أحد القساوسة إلى زيارات المسنين والمحبوسين، أعضاء جماعته، باعتبارها زيارات غير ضرورية. وهذا يجعلني غاضباً لأن مثل هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون المساهمة كثيراً في عمل الكنيسة.

يا للعار على مثل هذا القس. ففي كل هذه الحالات، يتجلى تصور الإنسان باعتباره آلة. فالناس يُقدَّرون على ما يستطيعون فعله وليس على ما يمكن أن يُقدَّم لهم، وهذا هو جوهر الخدمة الدينية.

وفي هذا النهج، ينظر إلى الأشخاص باعتبارهم أشياء، باعتبارهم وسائل لتحقيق غايات وليسوا غايات في حد ذاتهم. فهم يشكلون قيمة ما داموا مفيدين. وقد يتم تحريكهم من مكان إلى آخر مثل قطع الشطرنج كما تفعل بعض الشركات الكبرى مع موظفيها الإداريين، فتتلاعب بهم إذا لزم الأمر لإنجاز وظيفتهم المقصودة.

إن الحيوان هو وجهة نظر أخرى للكائنات البشرية. وترى وجهة نظر أخرى أن البشر هم في المقام الأول أعضاء في مملكة الحيوان وينحدرون من بعض أشكالها العليا. لقد نشأ البشر من خلال نفس النوع من العملية التي نشأت بها جميع الحيوانات الأخرى وسيكون لهم نهاية مماثلة.

لا يوجد فرق نوعي بين البشر والحيوانات الأخرى. الفرق الوحيد هو الفرق في الدرجة، والبنية الجسدية المختلفة إلى حد ما ولكنها ليست بالضرورة متفوقة، والقدرة الجمجمة الأكبر، وآلية الاستجابة للمحفزات الأكثر تدريباً. ولعل هذه النظرة إلى البشرية تتطور بشكل كامل في علم النفس السلوكي.

وهنا نفهم الدافع البشري من منظور الدوافع البيولوجية. فالمعرفة بالإنسان لا تكتسب من خلال التأمل الذاتي، بل من خلال إجراء التجارب على الحيوانات. ومن الممكن أن يتأثر سلوك الإنسان بعمليات مماثلة لتلك المستخدمة مع الحيوانات.

وكما تعلم كلب بافلوف أن يسيل لعابه عندما يرن الجرس، فمن الممكن أيضاً تدريب البشر على الاستجابة بطرق معينة. فالتعزيز الإيجابي، والمكافآت، والتعزيز السلبي الأقل استحساناً، والعقاب، هي وسائل التحكم، والتدريب. وفيما يتصل بعلم النفس السلوكي، انظر على سبيل المثال كتاب بول يونج "دافع السلوك المحددات الأساسية للنشاط البشري والحيواني"، 1936.

كان سيجموند فرويد، وهو كائن جنسي، ينظر إلى الجنس باعتباره مفتاح الطبيعة البشرية. وفي عالم لم يكن فيه الجنس محل مناقشة علنية أو حتى ذكر في المجتمعات المهذبة، طوّر فرويد نظرية كاملة للشخصية حول الجنس البشري. وكان نموذجاً للشخصية البشرية ثلاثي الأبعاد.

هناك الهو، وهو جزء غير أخلاقي في الأساس، لا أخلاقي ولا غير أخلاقي، وهو عبارة عن مرجل يغلي بالدوافع والرغبات. والأنا، المشتق من الهو، هو المكون الواعي للشخصية، والجزء الأكثر علنية من الفرد. وهنا تسعى القوى التي تتغير إلى حد ما من الهو إلى تحقيق الإشباع.

الأنا الأعلى هو الرقيب أو المتحكم في دوافع وعواطف الشخص. إنه استيعاب القيود والتنظيم الأبوين، أو على الأقل انتصاب أنشطة الطفل. إن القوة الدافعة أو المصدر الرئيسي للطاقة هو الرغبة الجنسية، وهي قوة جنسية في الأساس تسعى إلى الإشباع بأي طريقة ممكنة وفي أي مكان.

في الأساس، ينبغي لنا أن نفهم كل سلوك بشري باعتباره تعديلاً وتوجيهاً لهذه الطاقة الجنسية البلاستيكية وقد تتصاعد هذه الطاقة إلى أشكال أخرى من السلوك وتتجه نحو أهداف أخرى، ولكنها تظل العامل الأساسي الذي يحدد النشاط البشري. سيجموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي 1933.

ووفقاً لوجهة نظر فرويد، فإن سوء التكيف الخطير قد ينجم عن الطريقة التي يتم بها التعامل مع هذه الطاقة الجنسية. ولأن الهو يحرك ويسعى إلى تحقيق الإشباع الكامل غير المقيد، وهو الوضع الذي من شأنه أن يجعل المجتمع مستحيلاً، فإن المجتمع يفرض قيوداً على هذا الصراع من أجل الإشباع والعدوانية التي تصاحبه في كثير من الأحيان. ومن ثم فإن هذه القيود قد تؤدي إلى الإحباط.

كما تحدث حالات سوء تكيف خطيرة عندما يتوقف النمو الجنسي لدى الشخص في إحدى المراحل المبكرة من العملية. وتستند نظريات فرويد هذه إلى مفهوم مفاده أن كل سلوك بشري ينبع في الأساس من الدافع والطاقة الجنسية. ورغم أن المخطط النظري الذي وضعه فرويد لم يحظ بقبول واسع النطاق، فمن حسن الحظ أن افتراضه الأساسي مقبول على نطاق واسع.

إن فلسفة بلاي بوي تفترض بطريقة بدائية إلى حد ما أن الإنسان كائن جنسي في المقام الأول، وأن الجنس هو التجربة الإنسانية الأكثر أهمية. ويبدو أن الكثير من الإعلانات اليوم تتبنى هذه الفكرة أيضاً، وكأن لا شيء يمكن بيعه دون أن يحمل إحياءات جنسية. ويشير الانشغال بالجنس إلى أن الرأي القائل بأن البشر كائنات جنسية في الأساس هو رأي سائد على نطاق واسع في مجتمعنا.

لقد سمعت ذات مرة محاضرة ألقاها عالم العهد القديم البارز تريمبر لونجمان عن نشيد الأناشيد، وقد بدأ حديثه بالقول، على الرغم من أن العالم يبالغ في إضفاء الطابع الجنسي على الحياة، إلا أن المسيحيين المحافظين يبالغون في ذلك أحياناً. وقال إن هذا السفر من الكتاب المقدس يتحدث بشكل أساسي عن العلاقة الحميمة بين الزوج والزوجة. وقد تناول هذا الموضوع، وفي الواقع لديه تعليق، تعليق علمي على نشيد الأناشيد أيضاً.

في حين أن المخطط النظري، أو بالأحرى هذا، قد فعل ذلك، عفواً، فإن المسيحية، بقواعدها الأخلاقية وخاصة المسيحية الإنجيلية، تتعرض للانتقاد أحياناً لأنها تتسم بالإفراط في الحكم على الأمور الجنسية. وكان جوزيف فليتشر من بين أولئك الذين عبروا عن هذا الانتقاد. فقد كتب جوزيف فليتشر كتابه "المسؤولية الأخلاقية" في عام 1967.

ولكن هل تتسم الأخلاق المسيحية بالحكم المفرط، أم أنها ببساطة تقدم استجابة معقولة للدور المفرط الذي يلعبه الجنس في مجتمعنا؟ لاحظ سي إس لويس أن جزءاً كبيراً من النشاط داخل مجتمعنا يقوم على انشغال مفرط بالجنس البشري. وأقتبس من كتاب المسيحية [?] لسلي إس لويس: "يمكنك أن تجمع جمهوراً كبيراً لحضور عرض تعري، أي لمشاهدة فتاة تخلع ملابسها على المسرح." "والآن، لنفترض أنك أتيت إلى بلد حيث يمكنك أن تملأ مسرحاً؛ فهو يطرح هذه النقطة؛ إنه يجادل بطريقة سخيفة، ولكن من الجيد أن تحضر طبقاً مغطى ببساطة.

أنا آسف، إنه يداعب عظامي المضحكة. إنك تذهب إلى بلد حيث تتجمع حشود كبيرة من الناس بمجرد إحضار طبق مغطى على المسرح ورفع الغطاء ببطء حتى يتمكن الجميع من رؤية الطبق، قبل إطفاء الأنوار أنه يحتوي على شريحة لحم ضأن أو قطعة من لحم الخنزير المقدد. ألا تعتقد أن هناك شيئاً ما قد حدث في ذلك البلد فيما يتعلق بالشهية للطعام؟ ألا يعتقد أي شخص نشأ في عالم مختلف أن هناك شيئاً غريباً في الأساس بشأن ذلك؟ ألا يعتقد أولئك الذين نشأوا في فترة زمنية أخرى، أي فترة زمنية سابقة، أن هناك شيئاً غريباً في حالة الغريزة الجنسية بيننا؟

كائن اقتصادي. وهناك وجهة نظر أخرى مفادها أن القوى الاقتصادية هي التي تؤثر على الإنسان وتحفزها. وبمعنى ما، فإن هذه النظرة تشكل امتداداً للنظرة القائلة بأن الإنسان عضو في مملكة الحيوان في المقام الأول.

يركز هذا الكتاب على البعد المادي للحياة واحتياجاتها. فالطعام الكافي والملابس والمسكن هي أهم احتياجات البشر. وعندما تتوفر لدى الأشخاص الموارد الاقتصادية اللازمة لتوفير هذه الاحتياجات بالقدر الكافي لأنفسهم ولمن يعولونهم، فإنهم يشعرون بالرضا أو يحققون بذلك مصيرهم.

إن الإيديولوجية التي طورت هذا الفهم للإنسانية بشكل كامل ومتسق هي بطبيعة الحال الشيوعية، أو المادية الجدلية، كما يمكن تسميتها بشكل أكثر دقة. ترى هذه الإيديولوجية أن القوى الاقتصادية تحرك التاريخ عبر مراحل تقدمية. أولاً، جاءت العبودية

في هذه المرحلة، كان سادة المجتمع يمتلكون كل الثروة، بما في ذلك البشر الآخرون. ثم جاء الإقطاع، حيث كانت علاقة السيد بالخدام هي النموذج. ثم جاء الرأسمالية، حيث امتلكت الطبقة الحاكمة وسائل الإنتاج واستأجرت آخرين للعمل لصالحها

في الرأسمالية الليبرالية، لا تزال الملكية الخاصة للمزارع والمصانع قائمة، لكن الحكومة تفرض قيوداً معينة على الملاك، مما يجعل موقف العمال التفاوضي أسهل. في النهاية، سيأتي الوقت الذي لن تكون فيه الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وفقاً للإيديولوجية الشيوعية. ستكون مملوكة بالكامل للدولة

إن الفجوة الاقتصادية بين الطبقات سوف تختفي، ومعها سوف ينشأ الصراع بينها. وفي هذا المجتمع الذي لا طبقي فيه سوف يذبل الشر. ولنتحدث عن الذهب الزائف

يا إلهي. في المراحل النهائية من الجدلية، سيتحقق شعار الشيوعية، من كل حسب قدرته إلى كل حسب احتياجاته، إغلاق الاقتباس. يا للهول

أضحك أو أبكي. إن القوى المادية والاقتصادية هي التي دفعت التاريخ إلى هدفه النهائي. والجذور وراء هذا بالطبع هي كتابات كارل ماركس

،إذا كانت المادية الجدلية هي الصيغة الأكثر اكتمالاً لهذه الفلسفة، فهي ليست الصيغة الوحيدة. وبالمناسبة، فإن كتاب "رأس المال" لكارل ماركس (1936) يشكل مصدراً عظيماً للمعلومات. وعلى المستوى الشعبي يبدو أن مفهوم أن البشر مدفوعون في المقام الأول بالقوى الاقتصادية يشكل فلسفة نسبة كبيرة من الساسة الأميركيين، ومن المؤسف أن هذا المفهوم قد يكون صحيحاً

من المفترض أن هذه السياسات تعكس ما تشير إليه استطلاعات الرأي من مخاوف حقيقية لدى أغلب النخبين. وهذه القوى الاقتصادية تؤثر على أمور مثل اتجاهات السكان وغيرها. ولنتأمل هنا على سبيل المثال حقيقة مفادها أن المناخ ليس العامل الرئيسي المؤثر على أماكن إقامة أغلب الناس، على الأقل ليس بشكل مباشر

إن المشكلة الحقيقية تكمن في الموارد، وتوافر فرص العمل، التي تشكل بياض الكون. ومن بين بعض الوجوديين على وجه الخصوص، ولكن أيضاً في شريحة أوسع من المجتمع، نجد فكرة مفادها أن البشر تحت رحمة قوى في العالم تتحكم في مصائرهم ولكنها لا تهتم بهم حقاً. ويُنظر إلى هذه القوى باعتبارها قوى عمية، وقوى الصدفة في كثير من الحالات

عفواً، في بعض الأحيان يُنظر إلى هذه القوى باعتبارها قوى شخصية. ولكن حتى في هذه الحالة، فهي قوى لا يملك الأفراد أي تأثير عليها، مثل القوى العظمى السياسية

إن هذه النظرة في الأساس نظرة متشائمة تصور الناس وكأنهم يسحقهم عالم إما أنه معادٍ لهم أو في أفضل الأحوال لا يبالي برضايتهم واحتياجاتهم. والنتيجة هي شعور بالعجز والعبث. ويعبر برتراند راسل ببلاغة عن هذا الشعور باليأس الذي لا يلين

وأنا أقتبس منه .وكما اقتبس منه إريكسون من كتابه "التصوف والمنطق" الصادر سنة 1929، فإن الإنسان " هو نتاج أسباب لا تتوافر لها أية وسيلة لتحديد الغاية التي تسعى إلى تحقيقها، وأن أصله ونموه وآماله ومخاوفه وحبه ومعتقداته ليست سوى نتاج تركيبات ذرية عرضية، وأنه لا يمكن لأي نار أو بطولة أو شدة فكر أو شعور أن تحافظ على حياة فرد بعد الموت، وأن كل أعمال العصور، وكل التفاني، وكل الإلهام، وكل سطوع الظهيرة للعبقريّة البشرية مصممة للانقراض في الموت الهائل للنظام الشمسي، وأن معبد الإنجاز البشري بأكمله لابد وأن يدفن حتماً تحت أنقاض كون في حالة خراب .كل هذه الأشياء، إن لم تكن خارجة عن الجدل تماماً، إلا أنها مؤكدة تقريباً بحيث لا يمكن لأي فلسفة ترفضها أن تأمل في الصمود

إن بناء مسكن الروح من الآن فصاعداً لن يكون ممكناً إلا من خلال هذه الحقائق، وعلى أساس متين من اليأس الذي لا يلين .إن الإيمان بالضعفاء هو حياة الإنسان .وعليه وعلى كل أفراد جنسه، سيقع عليه مصير بطيء .مؤكد لا يرحم ولا يرحم

إن المادة القادرة على كل شيء، عمياء عن الخير والشر، متهورة بالدمار، تتدحرج بلا هوادة .وبالنسبة " للإنسان المحكوم عليه اليوم بفقد أعز ما لديه، وغدا بالمرور عبر بوابات الظلام، فلا يبقى له إلا أن يعتر، قبل أن تسقط الضربة، بالأفكار النبيلة التي تشرف يومه الصغير .متحدياً بفخر القوى التي لا تقاوم والتي تتسامح، للحظة مع معرفته وإدائته، أن يدعم وحده أطلساً مرهقاً ولكنه لا ينحني، العالم الذي صنعه مثله الخاصة " .على الرغم من مسيرة القوة اللاواعية

يا إلهي، كم نحن بحاجة إلى دراسة الأمور الأخيرة والأمل الذي يحمله المسيح لشعبه .هذا هو اليأس .هذا انتحار ينتظر الحدوث

لقد طور الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر هذا الموضوع المتعلق بالعبث واليأس في العديد من كتاباته ومن بين هذه الكتابات كتاب "الجدار" الذي يروي قصة أحد أعضاء مجموعة ثورية وقع في الأسر .وسوف "يتم إعدامه ما لم يكشف عن مكان زعيم المجموعة "جريس

يعلم أن اليونان تختبئ في قبو، لكنه مصمم على عدم الكشف عن هذه المعلومة .وبينما ينتظر موته، يفكر في الحياة، وصديقتها، وقيمته .ويخلص إلى أنه لا يهتم حقاً سواء عاش أم مات

،وأخيراً، على سبيل المزاح، يخبر الحراس أن يونان يختبئ في المقبرة .فيذهبون للبحث عنه .وعندما يعودون .يتم تحرير البطل

لقد ترك يونان مخبئه وذهب إلى المقبرة دون علمه، وهناك تم القبض عليه .لقد تم إنقاذ حياة البطل، الحياة التي لم يعد يريدها، بسبب مفارقة القدر الساخرة .جان بول سارتر، الجدار في الوجودية من دوستوفسكي إلى سارتر، تحرير والتر كوفمان، الفيلسوف الملحد الشهير اللامع في جامعة هارفارد، 1956

كما نجح ألبير كامو في التقاط هذه الفكرة العامة في إعادة صياغة أسطورة سيزيف الكلاسيكية .إنها عبارة صعبة النطق .لقد مات سيزيف وذهب إلى العالم السفلي

ولكن تم إرساله مرة أخرى إلى الأرض .وعندما تم استدعاؤه إلى العالم السفلي، رفض العودة، لأنه كان يستمتع تماماً بمتع الحياة .وكنوع من العقاب، تم إحضاره مرة أخرى وحُكم عليه بدفع صخرة كبيرة إلى قمة أحد التلال

ولكن عندما وصل إلى هناك، تدرجت الصخرة إلى أسفل. فواصل طريقه بصعوبة إلى أسفل التل، ثم دفع الصخرة إلى أعلى مرة أخرى، لتتدرج إلى أسفل مرة أخرى. وكان محكوماً عليه بتكرار هذه العملية إلى ما لا نهاية.

ورغم كل هذه الجهود، لم تسفر عن نتيجة دائمة. أما ألبير كامو، أسطورة سيزيف، فقد وردت في نفس الكتاب، الوجودية من دوستوفسكي إلى سارتر. يا لها من قراءة مثيرة

آه، يا إلهي. سواء كانوا غارقين في أفكار مخيفة حول الموت، أو الانقراض الطبيعي الوشيك للكوكب، أو الدمار النووي، أو مجرد النضال ضد أولئك الذين يسيطرون على القوة السياسية والاقتصادية، فإن كل أولئك الذين يحملون إنساناً هم في الأساس مجرد ببادق تحت رحمة الكون، ويشعرون بنفس الشعور بالعجز والاستسلام. لا أمزح.

كائن حر. يرى النهج الذي يؤكد على الحرية الإنسانية أن الإرادة الإنسانية هي جوهر الشخصية. وكثيراً ما يتجلى هذا النهج الأساسي في وجهات النظر السياسية والاجتماعية المحافظة

وهنا، تشكل الحرية من القيود القضية الأكثر أهمية، لأنها تسمح للبشر بإدراك طبيعتهم الأساسية. ويتلخص دور الحكومة ببساطة في ضمان بيئة مستقرة يمكن فيها ممارسة هذه الحرية. وبعيداً عن هذا، يتعين علينا أن نتبع نهج عدم التدخل

إننا لابد أن نتجنب الإفراط في التنظيم، كما ينبغي لنا أن نتجنب الوصاية الأبوية التي توفر كل احتياجات الإنسان وتستبعد إمكانية الفشل. فالفشل في ظل الحرية أفضل من الأمن من العوز ولكن دون وجود خيار حقيقي. ميلتون وروز فريدمان، حرية الاختيار، بيان شخصي، 1980

إن الحاجات الإنسانية الأساسية، وفقاً لهؤلاء الذين يتبنون هذا الرأي، تتمثل في المعلومات التي تمكن الإنسان، من الاختيار الذكي. وفيما يتصل بالمتطلبات الثلاثة للعمل، وهي معرفة ما ينبغي القيام به، والرغبة في المعرفة والرغبة في القيام بما يعرف أنه ينبغي القيام به، والقدرة على القيام بما يريد المرء القيام به، فإن المشكلة الحقيقية الوحيدة تكمن في العامل الأول. فللمرة الأولى، يمتلك المرء المعلومات الكافية لاتخاذ خيار ذكي فيما يتصل بما ينبغي القيام به، وهو الخيار الذي يأخذ في الاعتبار بطبيعة الحال الأهداف والقدرات الشخصية؛ ولا يوجد شيء داخلي، أو خارجي، يمنع ذلك الشخص من اتخاذ هذا الإجراء، ما دامت الحكومة تضمن البيئة المناسبة.

وتؤكد هذه النظرة أن البشر لديهم القدرة على الاختيار وأنهم يجب أن يفعلوا ذلك. ولكي يكون الإنسان إنساناً كاملاً، يتعين عليه أن يقبل مسؤولية تقرير المصير. وكل المحاولات التي يبذلها الإنسان للتوصل من المسؤولية عن نفسه غير لائقة

"، إن الأعداء الشائعة هي التكيف الوراثي". لا أستطيع التحكم في سلوكي، إنه في جيناتي، ورثته من والدي اقتباس قريب. وهناك عذر آخر وهو التكيف النفسي. لقد نشأت على هذا النحو، ولا أستطيع أن أتوقف عن أن أكون على هذا النحو. "أو التكيف الاجتماعي؛ عندما كبرت، لم تكن لدي فرصة؛ لم تكن هناك فرصة للحصول على التعليم، اقتباس قريب. كل هذه الأعداء هي أمثلة على ما تسميه الوجودية الوجود الزائف وعدم الرغبة في تحمل المسؤولية عن الذات

إن هذا الفشل في ممارسة الحرية يشكل إنكاراً للبعد الأساسي للطبيعة البشرية، وبالتالي إنكاراً لإنسانية الإنسان وعلى نحو مماثل، فإن أي جهد يبذل لحرمان الآخرين من اختيارهم الحر يشكل خطأ، سواء كان ذلك من خلال العبودية، أو الحكومة الشمولية، أو الديمقراطية المفرطة في التنظيم، أو الأسلوب الاجتماعي

المتلاعب. وتجسد قصيدة ويليام إرنست هينلي "إنفيكتوس" هذه الفلسفة التي تقول إن الإنسان في جوهره كائن حر.

من الليل الذي يغطيني، أسود كالحفرة من القطب إلى القطب، أشكر الآلهة مهما كانت على روعي التي لا "تقهر. لا يهم مدى استقامة البوابة، أو مدى تحميل اللقافة بالعقوبات، فأنا سيد مصيري، أنا قائد روعي المنظور الاجتماعي النهائي هو أن الإنسان الفرد هو في الأساس عضو في المجتمع.

إن العضوية في مجموعة من الأشخاص والتفاعل معهم هو ما يميز البشرية حقًا. فالشخص الذي لا يتفاعل مع الكائنات الاجتماعية الأخرى لا يرقى إلى مستوى الإنسان الكامل. وهناك شعور بأن المرء لا يكون إنسانًا حقيقيًا ما لم يكن يعمل ضمن مجموعة اجتماعية، ولا يحقق الغاية الإنسانية.

تتضمن هذه النظرة أحيانًا فكرة مفادها أن البشر لا يمتلكون طبيعة حقيقية. فالشخص عبارة عن مجموعة من العلاقات التي يشارك فيها. وهذا يعني أن جوهر الإنسانية لا يكمن في مادة ما أو طبيعة ثابتة يمكن تعريفها، بل في العلاقات وشبكة الروابط التي تربط الإنسان بالآخرين.

ومن خلال تعزيز هذه العلاقات، يمكن للفرد أن يصبح إنسانًا كاملاً. ويمكن للكنيسة أن تساعد الشخص على تحقيق مصيره من خلال توفير وتشجيع العلاقات الاجتماعية الإيجابية والبناء. وهذا صحيح، ولكن هذا ليس جوهر الإنسان، أو جوهر الطبيعة البشرية.

وهكذا نختتم هذه المحاضرة بالنظرة المسيحية إلى البشرية. لقد رأينا مجموعة متنوعة من المفاهيم حول طبيعة البشرية، ولم يكن أي منها مرضياً كنظرية يمكن أن نعيش بها. قد تكون بعض هذه المفاهيم، مثل النظرة إلى الإنسان باعتباره حيواناً، كافية كنظرية مجردة، ولكن حتى عالم الأحياء لا يفكر في طفله حديث الولادة باعتباره مجرد حيوان ثديي آخر.

إن آراء الآخرين تفشل لأن حتى عندما يتم تلبية الاحتياجات الإنسانية الأساسية، مثل الاحتياجات الاقتصادية أو الجنسية، يظل هناك شعور بالفراغ وعدم الرضا. وبعض الآراء، مثل الفكرة الميكانيكية، تنزع عن الإنسان صفاته الشخصية، وبالتالي فهي محبطة. ولا يمكن للمرء أن يعتبر هذه الآراء فهمًا مرضياً للإنسانية إلا من خلال تجاهل جوانب من تجربته الشخصية.

وعلى النقيض من ذلك، فإن النظرة المسيحية تمثل بديلاً متوافقاً مع كل تجاربنا. فالنظرة المسيحية إلى البشرية هي أن الإنسان مخلوق من مخلوقات الله، ولابد وأن نفهم أنه لم ينشأ من خلال عملية تطور عشوائية، بل من خلال عمل واعٍ وهادف من قِبَل الله. والسبب وراء الوجود البشري يكمن في نية الكائن الأسمى.

كان ينبغي لي أن أذكر قائمة المراجع الخاصة بالإنسان ككائن اجتماعي، توماس أودن، تجربة المجموعة المكثفة، 1972. اشتهر توم أودن باعتناقه المسيحية الإنجيلية وعقله اللامع جدًا الذي اهتم بالأمور الليبرالية واهتماماته بكتابات جيدة جدًا، وأصبح عقلاً لامعاً جدًا اهتم بالكتابات التوراتية، وإن كان من منظور الميثودية الإنجيلية، فإن الاهتمامات المسيحية التوراتية والمحافظة التي فعلت الكثير من الخير لكثير من الناس. اختار اسمًا لمشروعه ضد الأرثوذكسية الجديدة، أطلق عليه الأرثوذكسية القديمة، بقصد عدم اختراع أي شيء جديد، ولكن التلذذ بتعاليم الآباء، والعصور الوسطى، والمصلحين، والبيوريتانيين وما إلى ذلك.

ثانيًا، فيما يتعلق بالنظرة المسيحية للبشرية، فإن صورة الله جوهريّة ولا غنى عنها للبشرية. وبينما سنستكشف هذا في محاضرة مستقبلية، فإننا نلاحظ الآن أن أيًا كان ما يميز البشر عن بقية الخليقة، فهم وحدهم القادرون على إقامة علاقة شخصية واعية مع الخالق، والاستجابة له، ومعرفة الله، وفهم ما يريده.

منهم، وحب خالقهم وعبادته وخدمته، وإيجاد غايتهم وسعادتهم العظيمة في هذه الغايات. هذه الاستجابات تحقق بشكل كامل نية الخالق للبشر.

إن الإنسان له أيضاً بُعد أبدي. إن نقطة البداية المحدودة في الزمن كانت خلق الله الأزلي الذي منح البشر مستقبلاً أبدياً. وعلى هذا فحين نسأل عما هو صالح للبشر فلا ينبغي لنا أن نسأل من حيث الرفاهية الدنيوية أو الراحة الجسدية فحسب، بل وأيضاً من حيث العديد من المعاني، بُعد آخر أكثر أهمية لا بد من تحقيقه

وبالتالي، فإننا لا نخدم البشر عندما نمنعهم من التفكير في قضايا المصير الأبدي. ومع ذلك، فمن المؤكد أن البشر، باعتبارهم جزءاً من الخليقة المادية ومملكة الحيوان، لديهم نفس الاحتياجات التي يحتاج إليها أعضاء آخرون من تلك المجموعات. ورفاهيتنا الجسدية مهمة

نحن أيضاً كائنات متحدة. وبالتالي فإن الألم أو الجوع يؤثران على قدرتنا على التركيز على الحياة الروحية. ونحن كائنات اجتماعية، وُضِعنا داخل المجتمع لنتمكن من العمل في إطار العلاقات

إننا نحتاج إلى الآخرين، وهم يحتاجون إلينا. ولا نستطيع أن نكتشف المعنى الحقيقي لوجودنا من خلال النظر إلى أنفسنا وسعادتنا باعتبارها أعلى القيم على الإطلاق، ولا نستطيع أن نجد السعادة أو الوفاء أو الرضا من خلال البحث عنها بشكل مباشر. ومن عجيب المفارقات أن هذا صحيح

لقد منحنا الله قيمتنا من مصدر أعلى، ولا نحقق الرضا إلا عندما نخدم ونحب ذلك الكائن الأعلى، الرب الإله، القدير. عندها يأتي الرضا كنتيجة ثانوية للالتزام بالله. القديس أوغسطين، أحاول أن أتذكر مصطلحاته وأميزها، وأتألذذ بها، وأستخدمها

وقال إننا لا نستخدم الله، بل نستمتع بالله. وإذا فعلنا ذلك، فإننا نستخدم كل الأشياء التي منحنا إياها، بما في ذلك قدراتنا وخصائص عالمنا، لنستمتع به

ولكن محاولة استخدام الله هي عبادة وثنية، وهي سوء فهم تام لهويته ولنا في نظره. عندها ندرك حقيقة قول يسوع، "لأن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ولكن من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها".

مرقس 8: 35. إن العديد من الأسئلة التي تطرحها الثقافة المعاصرة بشكل مباشر أو ضمني، تجد إجاباتها في النظرة المسيحية للإنسانية. بالإضافة إلى ذلك، تمنح هذه النظرة الفرد شعوراً بالهوية

إن صورة الإنسان كآلة تؤدي إلى الشعور بأننا مجرد تروس تافهة لا أحد يلاحظها ولا يهتم بها. ولكن الكتاب المقدس يشير إلى أن كل إنسان له قيمته ومعروف عند الله. فكل شعرة في رأسنا معدودة

متى 10: 28-31. لقد منح يسوع أهمية وقيمة كبيرتين للبشر. لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكنهم لا يستطيعون قتل النفس

بل خافوا من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم. ليس هذا إشارة إلى الشيطان، بل إلى الله نفسه. أليس عصفوران يباعان بفلس؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم

"ولكن حتى شعور رؤوسكم محصاة. نحن ثمينون عند الله. فلا تخافوا. لذلك أنتم أفضل من عصافير كثيرة"

كلام جميل من فم ربنا. تحدث يسوع عن الراعي الذي كان عنده 99 شاة في الحظيرة بأمان، لكنه ذهب يبحث عن الشاة المفقودة (لوقا 15: 3-7). (فقال لهم يسوع هذا المثل: أي إنسان منكم له مائة شاة، وأضاع واحدة منها، ألا يترك التسعة والتسعين شاة في البرية، ولا حتى حظيرة، ويذهب وراء الشاة الضالة حتى يجدها

فإذا وجده، وضعه على منكبيه فرحاً. وإذا جاء إلى بيته، دعا أصدقاءه وجيرانه، وقال لهم: افرحوا معي، لأنني وجدت شاتي الضالة. هكذا أقول لكم: يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من فرح بتسعة وتسعين". باراً لا يحتاجون إلى توبة

إن الفرح في السماء، نعم، الفرح من أجل الله نفسه. فنحن ذوو قيمة عظيمة لدى خالقنا، وحافظنا، ومخلصنا الذي وضع هدفه في التاريخ وفي حياة شعبه وهو تحقيق الكمال. إن الله ينظر إلى كل إنسان باعتباره الخروف الضال.

إننا نزعم هنا أن النظرة المسيحية إلى البشر أكثر ملاءمة لهم من أي وجهة نظر منافسة. فهذه الصورة للإنسانية تفسر النطاق الكامل للظواهر البشرية بشكل أكثر اكتمالاً وبقدر أقل من التشويه مقارنة بأي وجهة نظر أخرى. وهذه النظرة، أكثر من أي نهج آخر في التعامل مع الحياة، تمكننا من العمل بطرق مرضية للغاية. في الأمد البعيد

سأختتم هذا القسم من ملاحظتنا حول مقدمة عن الإنسانية بالمزمور الثامن، وهو مزمور جميل للغاية. إنه مزمور عن الخلق. وهو يحتفل بالمكانة المباركة التي حظي بها آدم وحواء في عالم الله

،ولكن لا ينبغي لنا أن ننسى الدعامات، أو الشمول الذي يحيط ببيان الأهمية والقيمة والدور الإنساني. يا رب، يا ربنا، ما أعظم اسمك على الأرض كلها. نعم، إنه مزمور الخلق

ولكن أولاً وقبل كل شيء، إنه مزمور يمجّد الله لأجل أسمى مخلوقاته، آدم وحواء، والجنس البشري الذي جاء منهما. لقد رفعت مجدك فوق السماوات. إنه مجد عظيم للغاية

من أفواه الأطفال والرضع، أنشأت قوة بسبب أعدائك لإسكات العدو والمنتقم. الله يكبر. مجده فوق السماوات

ثم يقوم بتصويره باستخدام تقنية الماكرو. حيث يمجّد الأطفال الصغار من خلال الصراخ والأصوات التي يصدرونها. ثم يقوم بتصويره باستخدام تقنية الماكرو مرة أخرى

عندما أنظر إلى سماواتك، عمل أصابعك، القمر، والنجوم التي وضعتها في مكانها. مايكرو مرة أخرى. ما هو الإنسان الذي تفكر فيه، وما هو ابن الإنسان بالتوازي مع الإنسان الذي تهتم به؟

ولكنك جعلته أقل شأنًا من السماويين قليلاً وتوجّهته بالمجد والكرامة. لقد جعل خالقنا أبونا الأولين، وبالتالي نحن، متوجّين بالمجد والكرامة على صورته، مثله في أمور مهمة. لم يخلقهم قادرين على معرفة الله فحسب

،لقد خلّقوا وهم يعرفون الله، وأعطيته البشر سلطاناً على أعمال يديك، وأخضعت كل شيء تحت قدميه" الغنم والبقر كلها، وحتى بهائم البرية، وطيور السماء، وأسماك البحر، وكل ما يسلك في مسالك البحار

ينتهي المزمور الثامن كما يبدأ. يا رب، يا ربنا، ما أعظم اسمك في كل الأرض؟ ما هو الإنسان؟ نعم، هذا هو السؤال الأكثر أهمية الذي يعطي الوحي الكتابي أفضل إجابة عليه. وهذا هو ما سنركز عليه ونوجه انتباهنا إليه في المرة القادمة عندما نفكر في عقيدة البشرية على وجه التحديد

هذا هو الدكتور روبرت أ. بيترسون في تعليمه عن عقائد الإنسانية والخطيئة. هذه هي الجلسة الثانية، صور الإنسانية.